المنطقة الشرقية

تقع المنطقة الشرقية بين دائرتي العرض ٣٠َ ٢٣ْ و٣٠ ٢٩ْ شمالاً وبين خطي الطول ٤٥ْ و٥١ْ شرقاً. وتبلغ درجة الحرارة فيها ذروتها في أشهر الصيف، يونيو ويوليو وأغسطس، إذ تتراوح ما بين ٤٠ْ-٤٨ْ مئوية. وفي الشتاء، ديسمبر ويناير وفبراير، تبلغ أقل درجة حرارة فيها ما يقارب التجمد بينما تبلغ ذروة الحرارة ما بين ١٨ْ-٢٠ْ مئوية. ومناخها جاف ما عدا المدن الساحلية إذ ترتفع فيها الرطوبة ارتفاعاً ملحوظاً.

وفي المنطقة الشرقية الأحساء الواحة المشهورة في شرقي الجزيرة العربية، ومن أسمائها هجر، ويشملها ما كان يسمى البحرين قديماً. وتمتد أكثر من ٨٠٠كم على الساحل الغربي للخليج العربي. وأشهر مدن المنطقة الشرقية: الدمام والخبر والظهران والجبيل والهفوف والقطيف ودارين وتاروت وصفوى وسيهات، وما يزيد عن ٧٠ قرية. ويعود تاريخ الاستيطان في بعض مناطقها إلى أكثر من ٧٠٠٠ سنة، وهي من المواطن الأولى التي سكنها الإنسان. كما أن أهلها من أوائل من ركب البحر.

والأحساء غنية بالمياه الجوفية وتمتاز بخصوبة التربة مما جعلها بلداً زراعياً، وأثّر ذلك بدوره على أهلها فتحضروا. ويمكن أن يُلمس تحضرهم في نمط البناء والزراعة وطرق الري. وفيما يخص البناء فإن نمط العمارة فيها يتشابه مع أي نمط بناء في بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ إن الأحوال المناخية والسكانية في هذه المناطق متقاربة.

وقد ساعد هذه المنطقة على التميز، قياساً على غيرها من المناطق، موقعها الجغرافي؛ فقد شكلت حلقة وصل بين طرق تجارة الشرق والغرب العالمية القديمة من جهة، ومن جهة أخرى فإن وقوعها

بين مناطـق حضارات رائدة في العراق والهند وفارس واليونان، أتاح لـسكانها فرصة الاطلاع والتثقف والاستفادة من ثمرات تلك الحضارات.

كما كان لثروتها الزراعية، بصفـتها مصدر التموين الغذائي الرئيسي لبعض أنحاء الجزيرة العربية، أهمية كبرى، ذلك أنهـا جذبت إلـيها الأنـظار مـنذ أقدم العصور، وقد نتج عن ذلك أن قصدها الوافدون وأصبحت ميداناً مهماً لتلاقي الحضارات وتلاقحها.

والعمارة التقليدية في منطقة الخليج شديدة التشابه، وتشترك في الكثير مـن الخصائص والعناصر الحضرية والمعمارية، إلا أن أسماءها قد تـختلف من منطقـة لأخـرى. وقد اسـتخـدمت الأسـماء الأصلـية (الـلفظ المحـلي) للـعنـاصر العمرانية، لتأكيدها وتمييزها، وذلك على مستويـين، هما المستوى الـكبير، وهو القلعة (الحي)، ويتناول النمط الحضري للشكل العـمراني. والمستوى الصغير، وهو الوحدة السكنية، ويتناول الخصائص والعناصر المعمارية.

القلعة (الحي)

هي في تكوينها الاجتماعي مقسمة إلى عدة أقسام نتيجـة للارتباط العائلي من جهة، وربما للناحية المادية أو القيمة الاجتمـاعية من جهة أخـرى. والقسم الواحد من الحي يعرف بالفريق (الفريج)، فالهفوف قاعدة الأحساء، مثلاً، بها أربعة أحياء كبيرة، هي: الكوت، والنعاثل، والرفعـة الشمالية، والـرفعة الجنوبيـة. وتضم الرفعـة الشمالية أربعة فرق هـي فريج (فـريق) الخان، ويعـني النزل أو الفندق باللغة الفارسية، وهو في الجهة الجنوبيـة الغربية من الرفـعة الشماليـة. وفريج السدرة (نسبة إلى شـجرة السدر التي تنمو فيه)، وهو في الجنوب الشرقي من حي الرفعة الشمالية. وفريج الزريِّب، والزريب تـصغير للـزرب وهو موضع المواشي، وهو فـي الشمال الغربي من حي الرفعة الشمالية. ثم فريج الوارش، ويقع فـي الشمال الشـرقي من الرفـعة الشمالية.

ولا يمكن أن تميز فواصل كل فريج على حـدة بحد طبيعـي، إذ إن المباني متصلـة ومتشابكة. وإذا أخذنا الـفريج كوحدة سكـنية نرى أنها تمـتاز بشوارع ضيقة تُكوّن معها المباني ما يشبه القنوات وتعطـي الماشي بها شـعوراً بالانتمـاء، وتنتهي معظم هذه الشوارع بنهايات مغلقة فيـها ما بين ٢-٥ بـيوت، وهذه ميـزة حضرية جيدة.

وإذا أخذنا جزءاً من الفريج، نجد أنه يتكون من مجموعة من البيوت، التي يمثل مفردها وحدة سكنية لعائلة مفردة، لتكوّن مع مجموعة البيوت الجزء الخاص في الفريج. بينما نجد أن القلعة (الحي) تشمل أماكن عامة تتمثل في تكوينها الخصائص الاجتماعية العامة وشبه العامة والخاصة، فالعامة هي السوق، والمسجد، والحمَّامات. وشبه العامة النهايات المغلقة. والخاصة هي البيوت.

وبرزت هذه الخصائص نتيجة لظروف اجتماعية ودينية تدعو إلى حفظ الحقوق، وتحض على عزل الحياة الخاصة في البيت عن المجتمع الخارجي، وفي الوقت نفسه تؤكد المشاركة في الحياة الاقتصادية والدينية للمجتمع.

وأخيراً، إن أهم الخصائص في القلعة (الحي) هي تلك القيم المعمارية والتخطيطية والجمالية، وهي تشارك سائر أنظمة المدن الإسلامية في الخصائص المشتركة مثل المقياس البشري، والشعور بالأمن والانتماء، والتناسق بين المباني في الارتفاعات وغير ذلك، والفصل بين الأماكن العامة والخاصة، ثم وجود كثير من ممرات المشاة.

وعلى كُلٍ فإن الفرد المرتبط بفريجه، يكون أيضاً مرتبطاً بوحدة أخرى، هي العائلة التي لها شؤونها الخاصة، والتي قادت، كما أشرنا، إلى فصلٍ واضح بين الحياة العامة والخاصة، لتكونَ ظاهرة في المدينة الإسلامية، التي أخذت الأسماء التخطيطية والحضرية الخاصة بها.

وقد وصف بلغريف الهفوف وأحياءها عام ١٨٦٢م قائلاً:

> تتكون مدينة الهفوف... من ثلاثة أحياء أولها الكوت -أي القلعة- ويسكن في هذا الحي حاكم المدينة وحاشيته وأتباعه. وثانيها حي الرفعة الذي تسكنه الأسر العريقة كريمة المحتد. وثالثها حي النعاثل وهو أكبرها حجماً، وفيه خليط من أهل المدينة، الأغنياء منهم والفقراء، والعاملون في التجارة، وفي الحرف. وفي هذا الحي الأخير كان مسكناً. وللمدينة شكل بيضاوي كبير. ويبلغ طول ساحتها العامة المستطيلة نحو ثلاثمائة ياردة وربع ذلك في العرض، وعند هذه الساحة تلتقي الأحياء الثلاثة...
>
> والقلعة نفسها حصن ضخم يحيط به خندق عميق، ولها أسوار وأبراج ذات ارتفاع وسمك غير عاديين. وهي مبنية في معظمها من الطين، ومن الطين والحجر في بعض

حي الكوت بالهفوف

الأماكن. وقد بناها الحكام القرامطة. وهي مربعة الشكل تقريباً. ويبلغ طولها نحو ثلث ميل وعرضها ربع ميل. ونجد لها باباً رئيساً في كل جانب من الجوانب الثلاثة، أما الجانب الرابع، وهو جهة الشمال، فله قلعة صغيرة قوية تشكل نوعاً من المراقبة وهي بدورها مربعة ولها أبراج يفوق ارتفاعها من الأرض الأربعين قدماً، أو الستين إذا كان مقاسنا من أسفل الخندق. وفيها يسكن حاكم الهفوف... وهنا أيضاً نجد المسجد. وتقسم الكوت شوارع مستطيلة تصل ما بين بواباتها وبالتالي جوانبها.

ويبلغ عدد بروج القلعة خمسة عشر أو ستة عشر وأغلبها مستدير الشكل. ولكل منها درج حلزوني وفرجات وكوّات تحت الشرفة المفرجة. وللحيطان المتداخلة وسائل دفاعية مشابهة. والخندق جاف في معظم أجزائه لكن يمكن ملؤه بالماء من آبار الحديقة الواقعة خلفه عندما يستدعي الأمر ذلك. والبوابات قوية ومحروسة حراسة جيدة.

يغطي الرفعة، وهو حي الأسر العريقة الكريمة المحتد، مساحة معتبرة. وهو يتكون من مبان أكثرها مقبول الشكل وبعضها جميل. وتعود رشاقة العمارة المحلية في الهفوف، مقارنة بالمدن الأخرى، إلى استعمال العقود التي اختفت فيما بين (معان) و(الأحساء) في مسار رحلتنا وعادت أخيراً للظهور وأعطت مباني هذه المنطقة إشراقاً وتنوعاً غير معروفين... في نجد وشمر. والتحسين الآخر الذي أُدخل على العمارة المحلية هنا هو أن الأسوار، سواء كانت مبنية من الطين أو الحجارة أو كليهما، كما

هي الحال غالباً، مطلية في أكثرها بطبقة من الجص الأبيض... كما أن هناك محاولة لتزيين أبواب الممرات والنوافذ التي تنتهي في أعلاها بما يشبه الحرف اللاتيني (S).
وشوارع الرفعة واسعة ونظيفة جداً. بل إننا لا نجد ربع نظافتها في شوارع دمشق وبيروت. وهذا الحي صحي جداً فهو يقوم على أرض مرتفعة قليلاً كما يدل على ذلك اسمه ولذا فهو معرض لنسيم البحر الذي يحس به المرء بوضوح أحياناً.
وحي النعاثل أكبرُ أحياء الهفوف. وهو يحتل في الحقيقة نصف مساحة المدينة ويكمل شكلها البيضاوي.
وفيه نجد أنواعاً من المباني: للأغنياء والفقراء، العالية والمنخفضة، القصور والأكواخ. وهنا أيضاً، وبالقرب من حي الكوت شيد فيصل حاكم الهفوف المسجد الكبير الذي يفوق بعقوده المورسيكية وأروقته المعمدة وجصه الأملس وأرضيته المفروشة بالحصير، يفوق في مظهره الجامع الكبير في الرياض. ويسكن في هذا الحي عدد قليل من أنصار الدعوة السلفية، وكثير من صغار التجار وكبارهم

حي النعاثل بالهفوف

ورجال الأعمال، والغرباء من إيران وعُمَان والبحرين والحريق وقطر.
وهنا يسكن أيضاً النساجون والحرفيون ويؤدون أعمالهم.
وعلى خلاف الحيين الآخرين نجد في هذا الحي حدائق هنا وهناك تفصل بين المنازل...
ويعطي استعمال العقود تفوقاً حقيقياً لمنازل الأحساء على منازل وسط الجزيرة العربية. فالبعقود يكون المنزل مبنياً وفق شروط هندسية. ولا يتكون العقد في الأحساء صغيراً كان أم كبيراً، متصلاً بنافذة أو شاملاً

كل المنزل، من جزء من الدائرة وإنما من جزءين...

ولم أشاهد هنا العقد الذي يتخذ شكل حدوة حصان والذي يميز العمارة المورسيكية. فالعقد هنا بسيط وواسع وله طرف مدبب وتقترن بالعقود تحسينات أخرى؛ فشكل المنزل يبدو أكثر اتساقاً، وغرفه أوسع مما يسمح بكثير من الإنارة والتهوية، وسقفه أخف من السقف الخشبي المسنود في منتصفه بأعمدة غير متقنة الصنع. ولهذا فهو يسر نظر المسافر الذي يصل لتوه من الرياض. (نصر ١٩٩٥: ١٠١-١٠٤).

النمط الحضري

لو نظرنا إلى حي الرفعة الشمالية بالهفوف، مثلاً نجده ذا نسيج عمراني متضام، مكوّن من كتل من البناء تتخللها شبكة من الطرق المتعرجة الضيقة، وهذه الكتل من مجموعة من الوحدات (سكنية وغيرها) غير منتظمة الأبعاد والأشكال. ويتكون هذا النسيج الذي تمتاز به المدن الإسلامية من جملة من المؤثرات، منها حاجة الأفراد، والاستخدام، وقواعد تملك الأراضي وإحيائها في الإسلام. إن إيجاد نظام تخطيطي واضح يحدد الخواص التنظيمية والتخطيطية بالشكل المتعارف عليه أمر صعب، إلا أنه يمكن ملاحظة ما يقال عنه إنه نمط حضري نموذجي للشكل العمراني. وهو طريق فرعي غير نافذ، تفتح عليه مجموعة من الوحدات، ويمثل ذلك النمط المتكرر.

وكانت الحارات السكنية في مدن المنطقة القديمة كتلاً مقفلة من المباني الطينية غير المتناسقة في ترتيبها، وكان أهم ما يميز نظام البناء عدم وجود الشرفات أو النوافذ التي تطل على الشوارع أو الأزقة، وأغلب المباني من دور واحد.

ويمتاز نمط المساكن في المدن القديمة في المنطقة عموماً بتلاصق المباني، وضيق الطرق وتعرجها. وربما يُفسَّر تعرج الطرقات برغبة السكان في عدم مواجهة بعض أبواب المنازل ببعضها حفاظاً على التقاليد التي تحتم الخصوصية، كما أن لتعرج الطرق وضيقها فائدة مناخية تناسب طبيعة المنطقة الحارة، إذ إن ذلك يحول دون تسلط أشعة الشمس المباشرة على جدران غرف المنازل. وكانت أبواب المنازل الرئيسية تفتح على منافذ داخلية مسقوفة تعرف بالسباط. وكانت مهمة السباط تمكين الجيران من السيطرة البصرية على المناطق شبه الخاصة بهم، وكذلك يمكن الاتصال من فوقه دون اللجوء إلى

سباط مزدوج في القطيف

مدخل سباط بالقطيف

استعمال الأبواب الخارجية، لا سيما في حالات انعدام الأمن أو في الـضرورات الأخرى. وكان نظام الأسرة الكبيرة السائد هو الوحدة الاجتـماعية، إذ إن انشطار الأسر إلى وحدات صغيـرة -وهو سمة مصاحبة للتطـور والتغير الحضاري- لم يكن قد حدث بعد. وكان نظام الأسرة الممتدة في المنطقة يتمثل في تجمع الأسر ذات النسـب المتصل في منـطقة واحدة تخصهـا، وتصير مساكنـها حياً سكنـياً معروفاً باسمها يسمى الفريج.

وكما هو الحال في معظم نظم الأسر الممتدة في الـعالم، كان الأبناء، الذين لم يبلغوا سـن الرشد بعد، ينامون مع

تفتح أبواب المنازل على السباط بالقطيف

سباط ضيق بالقطيف

والديهم في غرفة واحدة. كما أن الأبناء ممن يبلغون سن الرشد ويتزوجون لم تكن بهم حاجة أو ضرورة اجتماعية للانتقال خارج منزل الأسرة، بل إنه أجدر بالابن من الناحية الاقتصادية البقاء مع والديه في منزل واحد.

وقد أكد نظام الحي (الفريج) على أهمية الأسرة الكبيرة، ووثق الرابطة الأسرية، وغرس في نفوس الشباب شعوراً قوياً بالانتماء. وكان يتخلل الأحياء بعض الميادين، والساحات العامة (البراحات) التي تقام فيها الاحتفالات أو مكان تجمع الناس أو موقع عرض بعض الأشياء أو وقوف الحيوانات، وترتبط هذه الأمكنة بعدد كبير من الناس لهم بها ذكريات، وهي على غرار الميادين في أيامنا هذه.

وكان للساحات، وتسمى براحات أو برايح، أهمية اجتماعية متميزة. فقد كانت بمثابة ملعب للأطفال، ومتنفس للسكان، يجلس فيها الكبار وتدور فيها القصص والحكايات، ويعرف سكان الحي الغريب الذي يدخل إلى برحتهم. وعلاوة على ذلك كانت البراحة بمثابة مرفق عام يستخدمه السكان، بصفة خاصة في المناسبات الاجتماعية كالاحتفالات بالأعياد ومناسبات الزواج. وكانت لها أهمية خاصة في الماضي، إذ كانت بمثابة المكان الرئيسي للتجمع أيام الحروب والطوارئ. وكانت تستخدم أيضاً لوضع مخلفات المباني عند تجديدها، أو تخزين مواد البناء

الجديد عند بناء منزل أو إضافة أجزاء إلى مبنى قائم. وبعد شيوع استخدام العربة (القاري، الكارو) استخدمت البراحة كموقف للعربات في المساء.

ومن أشهر برايح مدينة الهفوف قاعدة المنطقة قديماً وكبرى مدنها براحة الخيل في الكوت، وبراحة الشعيبي في النعاثل، براحة العويس في الرفعة، وبراحة القبلية في الكوت، وبراحة الهدام في النعاثل.

العناصر العمرانية

تتألف العناصر العمرانية من الفراغات المفتوحة (الطرق) والفراغات المغلقة (المباني) والسوق والمدرسة والحمام والبوابات.

الفراغات المفتوحة (الطرق). تشكل الفراغات المفتوحة شبكة من الطرق المتعرجة الضيقة، ذات الأبعاد المتباينة في الطول والعرض والاستخدام. وتوجد ثلاثة أنواع من الطرق هي السكة والسكة السد والبراحة.

السكه: وهي الطريق العام الذي يشكل الشبكة الرئيسية لحركة المشاة في الحي، وإليها تنفذ جميع الطرق الفرعية (السكه السد) ومداخل الحي. ويتفاوت عرض السكة بين ٢م إلى ٣,٥م تقريباً. وتحتوي بعض السكك على السباط الذي هو ممر مسقوف يستخدم غرفاً، أو ممراً يوصل فوق الطريق العام.

السكه السد: وهو الطريق الفرعي غير النافذ الذي يتفرع من السكة، وينتهي بمجموعة من البيوت. ويكون أقل عرضاً من السكة، وفي الغالب تبدأ السكه السد ببوابة يمكن التحكم بها.

البراحه: يقصد بالبراحة هنا الساحة التي تطل عليها مجموعة من البيوت والساحات العامة. وهي الفراغ الكبير المفتوح الذي يقع على تقاطع الطرقات الرئيسية (السكه) ويكون مكاناً للتجمع ولعب الأطفال. وللبراحة أشكال وأبعاد ومساحات متفاوتة.

الفراغات المغلقة (المباني). حي الرفعة الشمالية حي سكني، يتألف من مجموعة من الوحدات السكنية، بالإضافة إلى عناصر حضرية، وفيما يلي تعريف بكل منها:

المسجد: جميع المساجد في حي الرفعة الشمالية صغيرة، ولا يوجد به مسجد جامع. ويتكون المسجد من فراغين أحدهما مفتوح (المصلى) والآخر مغلق (الصحن) ويكون المسجد ذا طابق واحد يفتح في الغالب على براحة.

وتشتمل عناصر المسجد على رواق قبلي، وصحن كبير، ومحراب

مزخرف. وسقف المسجد من خشب الكندل، وعلى حواشي السقف من الخارج زخرفة شكلية. أما جانبه الشرقي (الموضا) حيث يصبون الماء في برك فيمكن استعماله من خلال حنفيات متصلة به.

ومسجد الحي يكون مسجداً صغيراً يخدم مجموعة من البيوت. ويُبنى المسجد بشكل مبسط فيتكون من دور على هيئة مستطيل، مقسم إلى قسمين. قسم مغطى ويشكل ثلثي مساحة المسجد، وقسم مكشوف يمثل الثلث الباقي. ويتكون الجزء المغطى من قاعة مفتوحة تتوسطها مجموعة من الأعمدة تنتهي من الأعلى على شكل أقواس مدببة. وهذه الأعمدة بنيت لغرض إنشائي لتتمكن من حمل السقف، ولكنها استغلت بطريقة هندسية معمارية بارعة لتضفي على المكان جواً من الطراز الإسلامي. فنجد عند رقبة كل عمود زخارف نقشت بأشكال هندسية جميلة. كما تعلو جوانب كل قوس فتحة صغيرة مغطاة بغطاء مزخرف. ويتوسط هذه القاعة، في الجدار المتوجه تماماً إلى القبلة، المحراب وهو تجويف في الجدار بمقدار ٦٠سم مكسو بطبقة من الجص محفور على شكل قوس مدبب، تعلو جانبيه لوحتان منقوش عليهما آيات قرآنية بخط النسخ.

وتُعمل الزخارف والنقوش الإسلامية، سواء كانت خطوطاً هندسية أو أشكال ورق الأشجار أو آيات قرآنية، من مادة الجص المبني منها المسجد. ومن الملاحظ اختلاف بعض هذه الزخارف عن بعضها تماماً، ولكن بطريقة متجانسة. وفي المسجد أيضاً بئر محفورة تعرف باللهجة المحلية بالركيّه، ويستخدم الدلو للحصول على الماء منها.

البيت: وهو الوحدة السكنية المفردة، ولا تزيد عن طابقين.

المأتم: وهو بناء عام يخدم أغراضاً اجتماعية، مثل إقامة الاحتفالات أو العزاء وهو أشبه ما يكون بمبنى متعدد الأغراض.

البارقه: وهو بناء يصنع فيه القماش الخاص بالمشالح، التي اشتهرت بها منطقة الأحساء. وتوجد في حي الرفعة الشمالية واحدة فقط تعمل حتى الآن.

السوق: تمثل السوق في الهفوف بؤرة اجتماعية، بالإضافة إلى مهمتها التجارية، وكانت تأخذ شكلاً مستقيماً عبر شارع رئيسي.

وكان هناك نوعان من المؤسسات التجارية، ثابت ومتنقل، وتمثل النوع

أسواق القيصرية بالهفوف

الثابت المحلات التجارية (الدكاكين) التي تفتح يومياً، وأهم ما فيها مبنى القيصرية، والقيصرية سوق مغطاة مكونة من عدد من الشوارع المتوازية، وتمثل واجهتها (بواكٍ)، وعلى طول المبنى بنيت الدكاكين متراصة وصغيرة، والشارع بينها ضيق يسمح للمشتري بسهولة الانتقال وسرعته من محل لآخر، بالإضافة إلى إتاحة الفرصة لاختيار أفضل السلع، لقرب المحلات بعضها من بعض.

وقد وصف بلغريف سوق القيصرية في حي الرفعة بالهفوف فقال:

يقع سوق القيصرية في الجزء المقابل للساحة أي في حي الرفعة. ويسمى طراز بناء هذا السوق بهذا الاسم، أي القيصرية، حتى في مسقط نفسها، رغم أني لا أستطيع أن أفسر كيف وجد هذا الطراز طريقه إلى شبه الجزيرة العربية التي كانت لها صلات تجارية ضعيفة مع الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية. وللسوق ممر بين الدكاكين مسقوف بعقود. فهو له إذن شكل أسطواني طويل لكن مدخليه مفتوحان. أما في أماكن أخرى غير الهفوف فنجد بابي المدخلين دائماً. ويتكون جانبا السوق من محلات منفصلة عن بعضها مخصصة للبضائع غالية

الثمن أو، على الأقل، البضائع التي يقدرها السكان كثيراً مثل الأسلحة والأقمشة والملابس المطرزة والحلي الذهبية والفضية وغيرها. وتحيط بالسوق ممرات معروشة بسعف نخيل يحمي البائعين من أشعة الشمس، ومتجانسة لحد كبير. ونشاهد في المحلات التجارية بضائع من البحرين وعمان وإيران والهند معروضة للبيع مع بضائع مصنعة محلياً. ونجد هنا أيضاً محلات الحدادين والنجارين والخرازين وغيرهم. وفي الساحة المربعة نفسها عدد لا يحصى من السقائف لبيع التمر والخضراوات والخشب والجراد المملح، وأشياء أخرى كثيرة. أما التبغ فقد منع أنصار الدعوة السلفية بيعه لكن التجارة فيه لا تزال نشطة ومستمرة سراً لأن (كل ممنوع مرغوب). وتجري الدلالة في هذه الساحة في معظم الأحيان. ونجد هنا أيضاً، عدداً كبيراً من الحلاقين والحدادين والخرازين، كما في الحيين الآخرين للمدينة (نصر ١٩٩٥: ١٠٢-١٠٣).

المدرسه: تنتشر المدارس بالأحساء لتحفيظ القرآن وتعليمه، وتدريس الفقه والحديث. والمبنى المدرسي بسيط جداً، يتمثل في عناصر المدرسة الإسلامية المنتشرة على مستوى العالم الإسلامي ببواكيها المتعددة، ذات القوس الدائري أو المفصص حول ساحة المدرسة، شأنه في ذلك شأن كل البيوت في الحي. ومدخل المدرسة دهليز طويل يقود إلى الفناء. والفناء ذو رواق أو رواقين بعقود دائرية تحمل على صفحتها نقوشاً جصية.

الحمّام: أهمية الطهارة في الإسلام دعت إلى بناء الحمامات وتطويرها في المدن الإسلامية. وفي الأحساء، حيث ينساب الماء طبيعياً، كانت وظيفة الحمام لأغراض متعددة، مثل تزويد التجمعات السكنية بحاجتها من الماء للغسيل وخلافه. والحمامات دائماً تكون على مجاري المياه ومنابع العيون.

والستر في الحمامات العامة ظاهرة كانت متوافرة إلى حد كبير. فكثير من الحمامات لا يوجد لها بوابات على المداخل، لكن كانت تستغل طريقة الدخول غير المكشوفة بطريقة حرف ل. ومن الحمامات ما هو مسور ومسقوف وإلاّ لما كان بالإمكان الوصول إلى الحمام عبر الماء، إذ إنه يقع على مسار المجرى، لذلك يعمل شبك عند المدخل أو توضع بعض الأنابيب الضيقة (منخر) التي

واجهة حمام أبو لوزة بالقطيف ويلاحظ الأثر المعماري التركي المتمثل في القباب

تسمح بمرور الماء فقط. وتفادياً لأي حرج فإن الرجال عند استعمال الطريق المجاور، أو عند تلقيح النخيل يعلمون النسوة بذلك لأخذ الحيطة.

البوابات: تكون بوابات الدخول إلى القرية أو المدينة أو الحي غالباً محصنة بالبروج، إضافة إلى جعلها من بوابتين متتاليتين، مع وجود فتحات صغيرة ومائلة على مستوى الجدار تسمح بالرمي من الداخل ولا يمكن اختراقها من الخارج، إضافة إلى وجود المزاغل الخارجية وكأنها أنوف. ويوجد بالقرية مداخل إضافية لتسهيل الحركة، إلا أن هذه المداخل تظل مفتوحة طوال أيام السلم، وتبنى لتصبح جزءاً من جدار

بوابة دروازة، الدخول إلى حي الرفعة – الهفوف

بوابة دروازة، حي النعاثل – الهفوف وتلاحظ الزخرفة الجبسية التي تزين البوابة والقوسان

السور أيام الحروب، ويعرف الواحد منها باسم منفذ أو فرجه.

فالبوابات تسهل عملية الدخول للحي والخروج، وتفتح نهاراً وتغلق ليلاً. والواحدة منها تعرف محلياً باسم دروازه.

المساجد. تحتوي مدينة الهفوف على العديد من المساجد، بعضها قديم يعود تاريخه إلى نشأة مدينة الهفوف كمسجد الجبري ومسجد الدبس وعلي باشا.

مسجد الجبري: أنشيء هذا المسجد فيما بين عامي ٧٩٥-٨٢٠هـ في عهد الجبريين، ويتكون المسجد من الجزء المغطى المحمول على أعمدة تشكل عقوداً مدببة يطلق عليها قوس جمالي وعقوداً مفصصة تشير إلى المحراب، ويقل ارتفاع العقد كلما قربنا من جدار القبلة ليشكل رؤية منظورية عميقة تثير في النفس الإحساس بأهمية الصفوف الأولى. ويشكل سقف المسجد مثلثات منحنية تنتهي بقباب.

مسجد علي باشا: يقع هذا المسجد داخل قصر إبراهيم، وقد بناه الوالي علي باشا أثناء حكمه للأحساء عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وهذا ما يشير إليه النقش الجصي على الواجهة الشرقية للجامع فوق المدخل الرئيسي.

والمسجد عبارة عن فراغ مربع مغطى بقبة مركزية واحدة تكتنف رقبتها الدائرية أربع قباب رمزية تقع في أركان المربع. ويحيط به رواق من ثلاث جهات مغطى بمثلثات منحنية تنتهي بقباب.

وتحتوي الأروقة على ١٤ عموداً؛ أربعة أعمدة في الرواق الشرقي وخمسة في الرواق الشمالي ومثلها في الرواق الجنوبي. إضافة إلى أربع دعامات، في كل ركن من أركان الأروقة واحدة منها.

والأعمدة تأخذ شكلاً دائرياً، وتحمل عقوداً، ٦ منها في الرواق الشمالي والرواق الجنوبي وخمسة في الرواق

مسجد علي باشا داخل قصر إبراهيم

الشرقي وجميع عقود الرواق الشرقي مدببة إلا أن أوسطها مفصص (كما في مسجد الجبري) أما الرواقان الآخران فعقودهما متناوبة؛ مدبب ثم مفصص ثم مدبب ثم مفصص. وفوق الأروقة بنيت دورة ترتفع عن حافة الظلات من الخارج بمقدار ٣٠سم لكي تحبس مياه الأمطار وتصرفها بواسطة مزاريب (مرازيم) فخارية وضعت ثلاثة منها في كل واجهة من واجهات الأروقة.

أما المسجد من الداخل فيتكون من الفراغ المربع المغطى بالقبة والمخصص للصلاة، وقد تم تحويل المنطقة المربعة إلى دائرة عن طريق عمل جدار أسطواني كي تقوم عليه القبة. إضافة إلى وجود أربع حنيات ركنية. ويتوسط جدار الجامع الغربي محراب مجوف نصف أسطواني، تنتهي طاقيته بعقد مدبب مزخرف بمقرنصات.

واعتمدت التهوية والإضاءة في هذا الجامع على النوافذ والأبواب التي اشتملت على ثلاث نوافذ جميعها بارتفاع منخفض بمقدار ٥٠سم. ثم هناك روشان (فتحة مزخرفة بالجص تسمح بالإضاءة والهواء) في وسط كل واجهة بارتفاع ٥,٤٠م عن الأرض، وأخيراً هناك ثمانية رواشين في الرقبة الأسطوانية للقبة. ولقد وضعت هذه الفتحات متقابلة لتسهل حركة الهواء خلالها أما في الليل فإن الإضاءة تعتمد على القناديل التي مازالت باقية بالجامع حتى الآن.

المدارس والأربطة. تعد الأحساء منذ منتصف القرن الحادي عشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، أكثر جاراتها تقدماً في العلوم الدينية والعربية والحساب والطب وبعض علوم الفلك وعلم الفرائض والتاريخ والجغرافيا.

ولقد كثرت المدارس وتعددت حتى إنه لا يخلو حي من مدرسة. ففي حي الكوت مثلاً مدرسة القبة التي تأسست عام ١٠١٩هـ ومدرسة الشلهوبية في عام ١١٨٣هـ، إضافة إلى الرباط، أما في النعاثل فمدرسة النعاثل ومدرسة النعيم وفي حي الرفعة مدرسة الشهارنة التي أسست عام ١٢٠٠هـ ومدرسة الشريفة عام ١٣٠٥هـ، وغيرها من المدارس.

مدرسة القبه (الكوت): لقد تأسست هذه المدرسة عام ١٠١٩هـ على يد والي الأحساء في ذلك الوقت علي باشا ويظهر من واجهة المدرسة مدى تأثرها بمسجد علي باشا داخل قصر إبراهيم المجاور لها.

مدرسة النعيم (النعاثل): وتقع داخل الحي بالقرب من براحة على السكة العامة، وتتكون من فناء محاط شمالاً بليوان يستخدم لغرض التدريس، وجنوباً برواق ذي أقواس مدببة جمالية ليستخدم لنفس الغرض صيفاً، ويوجد بالليوان دار.

الرباط: في القرن الثالث عشر الهجري زاد إقبال الوافدين إلى الأحساء من المناطق الأخرى وأقطار الخليج العربي بغرض طلب العلم في مدارسها وحلقات مساجدها، ولم يكن باستطاعة الجميع تأمين المسكن والمأكل طيلة فترة الدراسة، مما يضطر بعضهم إلى العودة لبلادهم قبل إتمام المهمة التي جاءوا من أجلها لذلك فقد قام الشيخ عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمر الملا، يعاونه بعض رجال الخير، ببناء الرباط في محلة الرويضة بالكوت وفي موقع مناسب قريب من المدارس والمساجد.

ويتكون المبنى من طابقين، في الطابق الأول تحيط الحجرات بالفناء الكبير في ثلاث جهات، بينما يحتل السلم الجهة الرابعة، أما في الطابق الثاني فتحيط الحجرات بالفناء من جهتين، وفي كلا الطابقين أمام الحجرات أروقة ذات أقواس

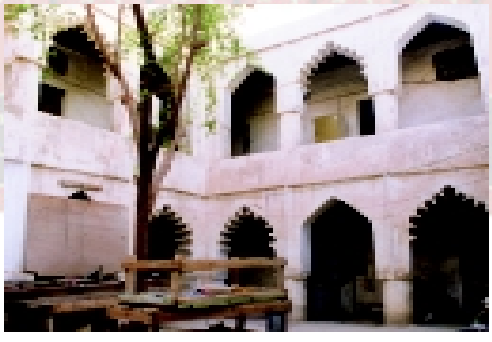

رباط البوبكر في حي الكوت – الهفوف

مدببة ومفصصة. ويحتوي المبنى على فناء آخر تحيط به حجرات الخدمات.

المباني الإدارية. تمتاز مدينة الهفوف بوجود المباني الإدارية إذ إنها كانت عاصمة المنطقة ولفترة طويلة. وتتركز هذه المباني في حي الكوت الذي كان يمثل الحي الإداري للمنطقة.

دار الإمارة (السراي): لقد دأب المسلمون على إنشاء دار الإمارة في أغلب المدن الإسلامية بجوار الجامع وهذا ما تجده بدار الإمارة التي تعود إلى العهد العثماني الأول، الموجودة داخل قصر إبراهيم حيث تقع بجوار جامع علي باشا، ويعتقد أنها بنيت في نفس الفترة التي بني فيها الجامع ٩٧٩هـ.

ودار الإمارة عبارة عن قاعة مربعة مغطاة بقبة مركزية ويحيط بها ثلاث ظلات مغطاة بقباب من الجهات الشمالية والشرقية والغربية.

السجن (حبس خانه): يرتبط السجن بدار الإمارة ارتباطاً واضحاً، فهو يحتل قبو دار الإمارة، والوصول إليه من داخلها وتهوية السجن عن طريق قبة تقع في ساحة الإمارة تشكل سقف السجن.

دار الإمارة في العهد السعودي (السراي): إن (السراج) هو السراي باللهجة الشعبية في الأحساء وقد كان السراج أحد معالم مدينة الهفوف إلى فترة قريبة عندما أزيل وبنى مكانه مبني الإمارة الحديثة.

القصور. يوجد بالأحساء عدد من القصور التي بنيت في فترات متعددة وبني بعضها على مراحل متعددة. وهذا النوع من القصور عادة يكون بناء فسيحاً على

قصر الفاخرية بالهفوف وقد بني في فترة الأمير عبدالله بن جلوي ثم صار للأمير عبدالمحسن بن جلوي

شكل مربع أو مستطيل وبأركانه أبراج دائرية أو مربعة تربط سور القصر.

ومن السمات المعمارية والمميزات الغالبة في تصميم هذه القصور الدورات الدفاعية ذات الشرفات المدرجة والرادة وهي عبارة عن فتحة بارزة مغطاة ببناء حجري ضخم. ومن قصور الأحساء قصر إبراهيم وقصر العبيد الذي تهدم عام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م وقصر خزام في مدينة الهفوف وقصر صاهود في المبرز.

قصر إبراهيم: يقع قصر إبراهيم عند أطراف حي الكوت الشمالية بالهفوف، وكان يشكل جزءاً من سور المدينة الذي تهدم، ولقد ظل قصر إبراهيم لبضعة قرون معروفاً بالاسم التقليدي الكوت ثم عرف بعد ذلك ولفترة طويلة باسم قصر القبة نسبة إلى قبة مسجد علي باشا حتى تحول اسمه إلى قصر إبراهيم نسبة إلى إبراهيم بن عفيصان حاكم الأحساء في العهد السعودي الذي رممه وأضاف إليه بعض المباني.

والقصر عبارة عن بناء مربع الشكل تقريباً، يبلغ طول كل ضلع فيه ١٣٠م، ويحتوي على مسجد علي باشا والإمارة، إضافة إلى حمام بخار ذي قبة مركزية علاوة على الثكنات العسكرية والمكاتب والمخازن. وقد أثبت قصر إبراهيم كفاءته وفعاليته كحصن عسكري منيع حيث تعرض عدة مرات لهجمات مختلفة، منها ما حدث سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٥م)

قصر إبراهيم بالهفوف من الداخل ويظهر الأثر التركي في معماره

سور قصر إبراهيم من الخارج

حينما احتمى جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن (طيب الله ثراه) بأسواره لمدة شهرين عندما باغته العجمان بهجوم، وانتهى الأمر بانتصاره.

قصر خزام: يقع خارج أسوار مدينة الهفوف وقد كان يقوم على حراسة المدخل الغربي للهفوف. وكان الهدف الأساسي من بناء قصر خزام إضافة للحماية هو جعله مقراً يجتمع فيه زعماء القبائل لحل مشاكلهم القبلية. وتاريخ بناء هذا القصر غير معروف، ومن المحتمل أن يكون قد بُني خلال السنوات الأولى من الحكم السعودي للأحساء من الفترة ما بين ١٢٠٨-١٢١٠هـ/ ١٧٩٢-١٧٩٥م.

يعد هذا القصر رمزاً لصلات الأحساء الوثيقة بجيرانها من قبائل البدو القوية التي كانت موجودة بالجنوب والغرب وهم بنو خالد والعجمان. كما يمثل الروابط بين الأحساء وبين الدولة السعودية التي نشأت هناك. إن كل شيء يتعلق بالقصر منذ مائتي عام يدور حول هذين العاملين الأساسيين.

قصر خزام بالهفوف

ويبدو أن الشكل الحالي لقصر خزام كان هو شكله الأصلي نفسه منذ بنائه، والقصر مستطيل الشكل، أبعاده ٧٠م×٨٠م، وكان مهيَّأً لإقامة حامية عسكرية كبيرة به، وشكل القصر طرازاً نجدياً تقليدياً بممراته والطرق الاستراتيجية التي تتيح لأعداد كبيرة من القوات استخدامها وقت اندلاع الحرب.

قصر صاهود: يقع هذا القصر خارج مدينة المبرز القديمة شمالي الهفوف، ولا يعرف تاريخ بنائه، ويحتمل أن يكون بناؤه قد تم خلال الفترة الأولى من حكم بني خالد أي أواخر القرن الحادي عشر الهجري.

ويقوم قصر صاهود على ربوة عالية، ويتخذ شكل مستطيل تقريباً أبعاده ١١٥م×٨٠م (شمال-جنوب) ومدخله الرئيسي من جهة الغرب. ويعتقد بأن هذا القصر قد بني للدفاع عن مدينة المبرز، وهي مدينة زراعية كانت تتعرض لهجمات البدو وغاراتهم، وقد استطاع هذا القصر أن يصمد أمام هجمات العثمانيين لمدة شهرين فيما عرف بحصار صاهود سنة ١٢١٤هـ (١٧٩٩م) حيث كان عدد القوات السعودية المحاصرة بالقصر لا يتعدى مائة رجل، بينما تجاوزت قوات العثمانيين التي حاصرت القصر الحصين عشرات أمثال هذا العدد، ومع ذلك ظلت القوات السعودية تقاوم. وقد بنى العثمانيون برجاً عالياً ليتمكنوا من إطلاق نيرانهم داخل الحصن (قصر صاهود)، وقد دُمِّر نصف الحصن من جراء ذلك الهجوم، وأعيد بناء ما تهدم من القصر بعد انسحاب العثمانيين.

النمط المعماري

الطراز التصميمي للمباني، هو طراز الفناء المفتوح. ويكون الفناء فيه مركزاً للتصميم، وتلتف حوله الفراغات الأخرى. وهذا الطراز هو المنتشر في المناطق ذات المناخ الحار، خصوصاً في البلاد العربية. ويأخذ الفناء في مباني حي الرفعة الشمالية شكلاً وموقعاً متغيراً، يتحدد حسب الحاجة والمساحة المتاحة.

المسكن. منازل سكان المنطقة في الغالب من طابق يُبنى بالطين أو الحجر والجص المحروق. وكانت مادة البناء الأساسية في واحتي الأحساء والقطيف هي اللِّبْن، الذي كان يصنع بوضع كمية من الطين في قوالب خشبية مستطيلة. وكانت تربة المنطقة عموماً صالحة لعمل اللبن، بعد أن يضاف إليه التبن ويخلط معه وذلك لزيادة تماسكه. وبعد تجفيف اللبن بأشعة الشمس يستخدم في البناء.

أما في مدن الجبيل وتاروت والدمام والخبر فكانت مادة البناء الأساسية هي الحجارة (الفروش) المستخرجة من البحر عند حدوث الجزر. وقد تخصص في تقطيعها وتهيئتها للبناء نفر من بني خالد في الجبيل، والدواسر في الدمام والخبر. وكانت جدران المنازل، خاصة الغرف الرئيسية، تُمسح وتزين بالجص من الداخل، لتخفيف حرارة الصيف المرتفعة. وكان الجص يستخرج من مجصات مشهورة خارج المدن وقرب البحر، وينقل بواسطة الحمير حيث يتم حرقه وسحقه وبيعه. ويستخدم الجص بشكل أساسي في تغطية الأُطر العليا للأبواب والنوافذ، التي يطلق عليها الكمر، وكان يصنع على شكل نصف دائرة، وبعد جفافها توضع كرتان متقابلتان فوق فتحات الأبواب والنوافذ، ويحشى ما بينهما بالجص والحجارة الخفيفة.

والمدخل الرئيسي هو الساتر البصري والسمعي بين الشارع وداخل البيت، ويتحقق بجعل الفناء بعيداً عن الشارع أو الزقاق، إذ إن الفناء هو مدار الحركة في البيت. كما يُبنى المجلس في طرف المنزل، تحاشياً لانتقال الأصوات. وهذا التصميم له أهميته في المحافظة على خصوصية ما يجري في البيت، فضلاً عن أنه يُضفي نوعاً من تأكيد احترام الرجل للستر. فنجد أن صاحب البيت أو غيره من الرجال في الأسرة يحاولون دائماً عند دخول البيت، إشعار أهله بوجودهم بطريقة أو أخرى، أشهرها النحنحة، وهي إظهار صوت متردد من الحلق.

وعند الدخول من الباب الرئيسي فإن أول ما يُرى الدهليز، وله سلم يفضي إلى السطح. وبعد الدهليز يدلف الضيف إلى المجلس، وهو أهم مكان في البيت. وكان باب المنزل يفضي إلى دهليز ضيق مستطيل، يؤدي إلى ساحة البيت (الحوي) غير المسقوفة.

المجلس. يختلف المجلس حسب حالة صاحبه المادية، فإن كان صاحبه محدود الموارد كان المجلس متواضعاً، أما إن كان صاحبه من المُوسرين، فإن المجلس يكون واسعاً جداً، وسقفه عالياً وبه نوافذ كثيرة. وقبل دخول المجلس تُعبرُ ردهة يكون بها في العادة حامل للجرار الكبيرة التي تملأ بالماء، مع مكان لوضع أكواب الفخار، ويسمى هذا الحامل كرسي المساخن، وهو من خشب الأثل. ويفرش المجلس بالسجاد الفاخر والفرش القطنية والمساند والمتكآت.

روزنة تزينها الزخارف الجبسية في حي الرفعة الجنوبية بالهفوف

الروزنة وحولها زخارف جبسية في أحد بيوت حي النعاثل بالهفوف

وبعض المجالس بها دواليب مبنية في الجدار، لها أبواب من خشب الساج وتسمى الكبتات (مفردها كبت) ولعلها معربة عن الإنجليزية. ويختلف المجلس عادة في التصميم عن بقية غرف المنزل، ففي كثير من منازل المنطقة يمتاز المجلس بارتفاع سقفه، حيث تُفتح له نوافذ فوق مستوى سطح المنزل تتيح الإضاءة والتهوية. وفي بعض المنازل يكون نصف المجلس أحياناً مسقوفاً، ونصفه مكشوفاً يستعمل أثناء ليالي الصيف بعد فرش أرضيته بحصر منسوجة من سعف النخيل. ويلحق بالمجلس عادة غرفة خاصة لإقامة الضيوف. ويمتاز تصميم المجلس الداخلي بوجود أرفف تشبه الدواليب الصغيرة المفتوحة، تسمى روازن (مفردها روزنه)، يوضع فيها عادة مجموعة من الدلال ومراش العطور والمباخر وما أشبه ذلك.

وفي صدر المجلس مكان لصنع الشاي والقهوة يسمى المقيعد، تُصف حوله الدلال. ويوجد في المقيعد

المحماس، أداة تحميص القهوة، والمدق (النجر) الذي استبدلت به أخيراً الطاحونة اليدوية، والمنفاخ اليدوي المصنوع من الجلد الذي استبدلت به أخيراً المروحة الجدارية التي تدار باليد. وأمام المقيعد مكان توقد فيه النار بخشب الغضا أو الفحم، يسمى الوجار أو الوجاغ، وهو الموقد، ولا يكون في صدر المجلس، بل في طرفه، حتى يمكن رؤية القادم مباشرة، وخلف الوجار رفوف خاصة من الجص داخل الجدار، مخصصة لصف دلال القهوة عليها. وفي معظم الأحيان يُعد صاحب البيت القهوة لضيوفه بنفسه، لذا وجب أن يكون قريباً منهم. ويكون ارتفاع المجلس من الداخل عادة أعلى من أي غرفة أخرى في البيت، وهذه ميزة معروفة في المعمار الحديث، إذ يفضل لصالات الجلوس أن تكون مرتفعة لتعطي طابع الانشراح. وربما أُلحق بالمجلس غرفة تسمى الحجرة، يقيل فيها رب البيت، وهي باردة صيفاً دافئة شتاء. وفي سقف المجلس مما يلي المقيعد فتحة تغطيها قطعة من الخشب، أبعادها حوالي ٥٠سم×٥٠سم، لها مفصلات وتفتح وتغلق بواسطة حبل مصنوع من ليف السيزال الأفريقي يمر على بكرة. وتسمى هذه الفتحة الكشاف وهي تختلف عن البادقير الخليجي، إذ الأولى لخروج الدخان، والثانية مدخل الهواء وهي بمثابة مكيف للبيت.

ويتم بناء الكشاف على ارتفاع متر واحد من سطح المجلس. ويكون على شكل مثلث قاعدته في الأسفل وضلعاه إلى الأعلى، ويصنع من جذوع النخل. وطريقة بناء الكشاف السائدة في المنطقة تكون بجعل الجهتين الشرقية والغربية مقفلتين، وفتح جهتي الشمال والجنوب

الوجار (الوجاغ) في مجلس أحد البيوت في حي النعائل بالهفوف

لتسهيل دخول الهواء ومنع دخول رذاذ المطر عند هطول الأمطار.

وتمتاز قاعة المجلس في البيوت التقليدية بملامح أو عناصر خاصة بها، إذ يصل الارتفاع إلى ستة أمتار، وتجعل النوافذ في المترين الأخيرين لتتصل بها الجدران المبنية بحجر الحلوة. وأبواب المجالس خشبية محفور عليها زخارف محلية، ومزاليقها رائعة التكوين. ويتم الوصول إلى القاعة عبر سُلم ضيق يفضي إلى المجلس، بمصباحه اللطيف وبعقوده المفصصة.

الحوي. يُبنى المجلس عادة في الدور الأول، وله دَرَجه الخاص الذي يقود إليه، ويكون قريباً من الباب الخارجي. وإذا خرجت من المجلس متجهاً إلى داخل المنزل، فأول ما يقابلك باب يسمى الأوسط به فتحة صغيرة تسمى الخوخه. وعندما تعبر هذا الباب تصل إلى فناء المنزل، ويسمى الحوي وله مساحة كافية للحركة المنزلية، بالإضافة إلى استخدامه مكاناً للهو الأطفال وجلوس الكبار. ووجود الرواق في الفناء جعله مكاناً لأداء بعض الأعمال التي تقوم بها ربة المنزل، في جو يسمح لها بمراقبة الأطفال. ووجود الفناء في البيت أمر مسلم به تقليدياً، وهو ساحة وسط البيت تطل عليها الغرف من جميع الجوانب، وهذا الفناء يؤدي دوراً في تسهيل الحركة داخل البيت. وللحوي أهمية كبرى لأنه مصدر الإنارة للمنزل، لا سيما أن نظام البناء القديم يتحاشى إيجاد نوافذ أو فتحات أو مناور على الطرقات مع ضيقها وتعرجها، وذلك لأسباب أمنية. كما يُعد الحوي مصدراً لتهوية المنزل وتلطيف درجة حرارته، إذ يساعد على حفظ حرارة المنزل الداخلية فيما بين ٢٠-٣٠° مئوية خلال أشهر الصيف الحارة. وكانت معظم المنازل في المنطقة تمتاز بوجود رواق يحيط بالفناء الداخلي (الحوي)، والرواق -كما هو معروف- بروز يظلل أبواب الغرف التي يشترك معها في سقفها. ولأنه مفتوح في الطرف المقابل لأبواب الغرف، فقد كان من ضمن فوائده أن يحول دون تركز أشعة الشمس مباشرة على جدران الغرف، علاوة على دوره في سرعة دورة الهواء داخل وسط المنزل ونفاذه إلى غرفه. ويعد الرواق في العادة مركز نشاط العائلة وخاصة في فصل الصيف. وتطل على الفناء كل الغرف التي في الدور الأرضي، وبعض الأفنية بها رواق لتظليل جزء من الغرف للجلوس فيها عند الضحى. ويتدلى من سقف الرواق حبل ينتهي بإناء خشبي مجوف يسمى الطياره يوضع فيه

الحوي في أحد منازل الهفوف وتقع حوله الغرف وأمامها الرواق

الطعام المطبوخ والمتبقي من العشاء لحفظه من القوارض والزواحف والحشرات السامة، ويؤكل عادة صباحاً ويسمى الغبوبه. ومن الفناء يمكن الدخول إلى بقية أجزاء البيت.

الغرف. يطلق سكان المنطقة أسماء على غرف المنزل تمييزاً لكل منها عن الأخرى؛ فمن ذلك الليوان وهو غرفة مستطيلة، و(المربعه) وهي كل غرفة يزيد عرضها عن المألوف، وتتراوح أبعادها ما بين ٢,٥ و٣,٥م. أما (الدار) فهي غرفة داخل غرفة، وتستخدم في الأغلب للتخزين. وفي بعض المنازل كان السكان ينشئون داخل الليوان أو المربعة، وخاصة إذا كان سقفهما مرتفعاً، ما يسمى بالكندية. والكنديه تشبه الشرفة داخل الغرفتين المشار إليهما، تشترك معهما في السقف ويصعد إليها بدرج خاص. وتسمى غرفة المختصر وهي شائعة في الهفوف، ويكون لها نافذة صغيرة تطل على الفناء أو لا نافذة لها على الإطلاق. وفي الفناء درج يفضي إلى السطح، والغرف المطلة على الفناء تسمى المرابيع (مفردها مربعه)، وتسمى كذلك اللّواوين (مفردها ليوان) وبعض الغرف لها مخدع يسمى الدار وهو يكون داخلها وبمستوى الغرفة، وله باب صغير أو ستارة، ويستعمل للنوم أثناء القيلولة.

وهناك بعض البيوت لها سراديب تحت الأرض، ويسمى السرداب عند أهل الأحساء القبو أو الدبّاب، ويتخذ للتخزين أو النوم أثناء الظهيرة. وتشمل منطقة الخدمات المطبخ أو الموقد عند أهل الأحساء، ويكون جزء من السقف مما يلي أحد الجدران مفتوحاً إلى السطح لخروج الأدخنة والروائح. والمطبخ غرفة تمتاز بوجود رفوف (روازن) بنيت داخل الجدران الداخلية، لغرض تخزين المواد واللوازم عليها. وتمتاز المطابخ قديماً بوجود موقد على هيئة ثلاثة نصب، أو نصبين يمد بينهما قضيبان معدنيان. ثم شاع أخيراً استخدام موقد مكون من غرفة تخصص كمستودع لحفظ القوت من مختلف مواد الطعام ولوازم المطبخ، وأدوات الحليب، وتعرف بالجازه. وفي بعض الحالات، خاصة في القرى، كانت لوازم الزراعة وعددها تحفظ في الجازه.

وجرت العادة أن تضُم المنازل مكاناً خاصاً بالحيوانات يعرف باسم السماده، جزء منها مكشوف وجزء مسقوف، ويكون الجزء المكشوف أحياناً غير عالي الجدار من الجهة الجنوبية والغربية تسهيلاً لسقوط أشعة الشمس، ويطلق عليه اسم الحوش، أما الجزء المسقوف (المظلل) فهو مكان لحفظ البهائم وهو الزريبه ويطلق عليها أيضاً اسم (لبارقه، وهي العيطفه إذا كانت في مزرعة. وهناك عاملان يتحكمان في وضعها بالنسبة للمسكن، أحدهما اتجاه الريح، والآخر الرغبة في جعل الشمس تسقط عليها.

وهناك البئر وتسمى العين إن وجدت، والمسبح وهو المكان الذي يمكن للإنسان الاستحمام فيه.

وأما دار الخلوه وهي تعادل الحمام في أيامنا هذه، فتقام في مكان يسمح بتعرضها للشمس، كما يراعى فيها اتجاه الرياح السائدة. ويضم المنزل مرحاضاً لقضاء الحاجة يطلق عليه المختلى أو السنداس ويبنى عادة في الحوض المخصص زريبةً للحيوانات. وربما وجد بيت ماء آخر في السطح متصل بالسفلي.

والمسبح داخل البيوت بناء مجوف ممسوح بالجص، يملأ بالماء ويستخدم للاغتسال عن طريق صنبورين أحدهما علوي للغسل وآخر سفلي للوضوء ويسمى العسيله. ويتم تصريف الماء إلى البالوعه التي قد تكون خاصة بالبيت، أو مشتركة مع بيوت الجيران.

وفي منطقة الخدمات مخزن للأغذية يسمى الكُنْدُوج ثم هناك غرفة صغيرة تسمى الدويره -تصغير الدار- يُخزن البصل بها وذلك بفرشه على الأرض

حتى لا يتعفن، وهناك الجصه وهي بناء صغير، ولـها باب صغير يـتناسب مع حجمها مثبت في منتصف جدارها، ويتم تخزين التمر في الجصة في فصل الجداد (الصرام)، ويرص بوضع ثقـل مناسب على التمر. وأسفـل الجصة جيوب بها فتحات متصلة بـها ينساب منها الدبس إلى الخـارج من التـمر، وتسمـى هذه الجيـوب المجابي (مـفردها (مِـجْبَاة أو جابيه).

أما سطح المنزل فلا يقام فيه بناء إلا نادراً، ويقتصر عـلى غرفة أو غرفتين، أو عريش مسقوف بسعف النخل لوضع الفرش فيه، أو غرفة مفتوحة تفضي إليها كل السطـوح، تسمى المصباح، لحـفظ الفرش أيضاً أو النوم فيها صباحاً وعند نزول المطر المفاجئ في فصل الخريف. وتُشبه الغرفة المفتوحة (المصباح) إلى حد كبير الشرفة المسقوفة. وتمتاز بعض المنازل ببناء حاجز علوي يُمكّن السكان من النظر من سطح المنزل على الفناء، ويطلق على ذلك الحاجز اسم الأقاسي.

والأقاسـي بمثابـة رواشين داخـلية مفتوحة، وهي تحيط بالفناء من الأعلى. أما الرواشين الخارجية، التي على نظام بيوت الحجاز، فلا تعرفها الأحساء، ما عدا بعض بيوت الخُـبر التي بنيت أثناء فترة التنقيب عن النفط، أو الفـترة التي واكبت بدايـة إنتاج النفط قـبل أن يعم المنطقة نظام البناء الغربي.

وقد استخدم سكـان المنطقة جذوع النخل، وسيقان شجر الأثل، لتسقيف المنازل. ثم بُدىء في استخدام أخشاب الكندل المستوردة من الهند، بعد طلائها باللون الأسود. كما تفنن بعض الموسرين في تلوين سقوف الغرف بألوان جذابة، خـاصة غـرف اسـتقـبـال الـضيـوف (المجلس). ويوضع فوق أخشاب الكندل ألواح رقيقة من الخشب المجدول المعروف باسم باسكـيل، ثم تمد فوقها الحصر، التي كانت تستورد خصيصاً من العراق وتعرف بـاسم منقور أو بـواري، وهي تصنع من القصب المنسوج بشكل هندسي جميل. وتوضع فوق الحصـر طبقة من الطين وفوقها طبقة من الرماد، لإكساب السقـف مناعة ضـد تسرب ميـاه المطر ونضحه. وكانت مزاريب تصريف مياه الأمطار تصنع من جذوع النخيل المجوفة، لتسهيل صرف مياه الأمطار وعدم تراكمها فوق أسطح المنازل. ثم تطور الأمر إلى استخدام مزاريب معدنية بعد ذلك. وكان من المظاهر المألوفة آنذاك، مسارعة السكان في مواسم الأمطار إلى تنظيف مزاريب مـنازلـهم، وتـعلـية أعـتاب الأبـواب

الخارجية، خشية تدفق مياه الأمطار المتجمعة في الطرقات إلى داخل منازلهم. وكان الاهتمام يزداد عندما يستمر هطول المطر لعدة أيام، أو ما يسميه السكان ديمه. وكان خرير المنازل وانهيار بعضها بسبب استمرار الأمطار أمراً مألوفاً في المنطقة. وكان السكان يعتنون كثيراً بسطوح المنازل ويستخدمونها للنوم ليلاً في فصل الصيف.

وكان الطراز الغالب في المعمار أن يكون لكل منزل باب كبير من مصراعين، به خوخه صغيرة للاستخدام اليومي. وكانت أبواب المنازل تصنع محلياً من خشب السدر والأثل والنخيل، يصنعها نجارون مهرة، برعوا في تصميمها ونقشها وزخرفتها وتلوينها. وكانت الأبواب الرئيسية مزودة بحلقة معدنية، مثبتة على قاعدة معدنية دائرية، تمكّن الزائرين من قرع الباب. ويعلو أبواب معظم منازل المنطقة ما يعرف بالطرمه، وهي صندوق خشبي بارز ذي فتحات في جنبيه وأسفله، تمكن أصحاب المنزل من رؤية طارق الباب أو المارة أمامه.

وكان الطراز الغالب على أثاث البيوت، الحصر المنسوجة من سعف النخيل والقصب (المداد). وكانت الفرش والمساند المستخدمة في البيوت مصنوعة محلياً من القطن. ولم تُعرف الوسائد الوثيرة والسجاد الفاخر في منازل عامة الناس، وربما وجدت في عدد قليل من منازل الموسرين ذوي السعة.

الفتحات. هناك ثلاثة أنواع رئيسية من الفتحات في الفراغات الوظيفية وهي: الباب والدريشة والروشن.

الباب: هو المدخل للفراغ الوظيفي، ويعتبر ميزة أو ظاهرة خاصة. وكان يعمل أصلاً من ألواح من جذوع النخل، ثم أخذ يتطور باستعمال أخشاب أقوى مثل خشب الساج. والأبواب عموماً على نوعين: أحدهما ذو درفة (صفقة) واحدة، ويدخل من ضمنها الباب المكسور؛ والآخر ذو درفتين، ويدخل ضمنها البوابات ذات الأبواب الصغيرة التي تعرف بالخوخة. وأكبر الأبواب حجماً هي تلك التي على مداخل البيوت والمزارع والحظائر وعلى مداخل القلاع والتجمعات السكنية كالقرى. وأما أصغرها فعلى الفرجات (جمع فرجة، وهي المنفذ الصغير)، وأبواب مستودعات التمر (المقصود بالتمر هنا تمر الجازة الذي هو لحاجة البيت أو تمر الجصّة المعروفة) وباب الجازة يكون في مواجهة مدخل البيت ومساحته ٦٠سم × ٦٠سم. وكانت جميع أنواع الأبواب تجهز في محل النجار.

ويربط الباب عادة بواسطة محور ارتكاز رأسي بسيط، وذلك بوضع عمود من الخشب بشكل عمودي في جانب الباب. وهذا المحور مصنع على شكل مدبب، ومثبت في وقب أو تجويف عند عتبة الباب (الصاير)، وعند الأسكفة (عتبة الباب العليا) ليسمح للباب بالدوران، ويكون معتمداً على العتبتين كساند. وتؤمن مفاصل (بثات) محور الارتكاز الرأسي في مكانها، وتربط مباشرة إلى الباب الخشبي بواسطة رباط خشبي أيضاً. وهذا الرباط يزود الباب بحركة دورانية سهلة، تسمح بعمل إصلاح ملائم وتحفظ الباب ليكون وحدة واحدة أثناء التركيب. وبعض الأبواب لا يوجد لها إطار، لذلك تثبت مباشرة إلى تجويف خشبي. وعندما يكون الباب ذا شِرْعَتين فإن الفتحة عند نقطة تلاقي الدرفتين أثناء التكسير تغطى بوضع عمود خشبي على الدرفة اليسرى من الخارج، يسمى الخشم ويكون عادة مزخرفاً. ولأن الباب عنصر مهم في العمارة، كانت زخرفته محل عناية كبرى، وتأتي على ثلاثة أشكال؛ هي تصميمه كوحدة زخرفية متكاملة، لأن الخشب المصنوع منه لا يأتي مستقيم الجوانب. ومحاولة ترتيب ألواح الباب تخلق شكلاً جميلاً، وتكون ألواح جوانب الباب فقط هي المستقيمة. ومعظم الأبواب من هذا الشكل ذوات درفة واحدة. والشكل الثاني هو الحفر على الخشب، ويستخدم النجار آلات خاصة لحفر أنماط الزخارف المحلية المتعارف عليها، والتي مصدرها المربع والمثلث والدائرة. وهناك الزخرفة بترصيع المسامير، وتُعمل هذه المسامير من الحديد، أو النحاس أحياناً، مع رأس مستو أو مقبب بقطر طوله حوالي ٥سم. وتوضع هذه المسامير لغرض التجميل فوق الباب، لتُشكل خطوطاً متوازية وأفقية. كما أنها تستخدم أيضاً لتسمير ألواح الباب مع العوارض التي خلفه.

وأما القارع المعدني فهو أيضاً يضيف مظهراً لطيفاً بذوق فني متآلف. وتبدو عبقرية النجار في عمل المقحام (المزلاج) بقفله. ويتركب المفتاح والقفل من خشبة ساج مستطيلة الشكل طولها بين ٣٥سم و٥٥سم، وتثبت بواسطة رباط (ربطه) خشبية على شكل حرف U الإنجليزي إلى جانب الباب. ولغلق باب ذي درفتين، يدفع القفل الخشبي إلى الدرفة الثانية لتمر من خلال رباط آخر مشابه، وبهذا ترتبط الدرفتان معاً. وبزحلقة القفل الخشبي إلى آخر مداه، فإن عدداً من الكلاليب الخشبية تسقط من الرباط الأول

إلى ثقوب مناسبة في القفل لتثبته في مكانه. وعندما يُراد فتح الباب، يسحب القفل إلى الخلف إلى وضعه الأول. وهذا يحدث بدخول المفتاح الخشبي في تجويفه بالقفل، وله أشواك (أضراس) مناسبة، وبتحريكه إلى أعلى يزيح الكلاليب ويتحرر الملقام الذي يسمح بالإزاحة تبعاً لذلك. هذا الملقام كان مستعملاً في جميع أنواع الأبواب.

كما تستعمل أداة قفل أخرى هي الكيلون المعدني، والذي يأخذ شكل حرف T الإنجليزي. وهو يعمل بالانزلاق من درفة إلى أخرى، ويكون في الجزء العمودي ثقب تمر من خلاله حلقة مثبتة على الباب يوضع بها قفل خارجي عندما يراد قفل الباب.

والباب فتحة للدخول مكون من ضلفتين من الخشب في الغالب، ولا توجد أبعاد ثابتة لتصميم الباب ولكنها تتفاوت حسب الحاجة وأهمية الفراغ.

ويصنع الباب عادة من الخشب الصلب، ويكون ذا درفة أو درفتين، وتستعمل المسامير الطويلة المقببة في صنعه، وليس له مفصلات، بل إن أصله يوضع على قطعة من الخشب مجوفة مدفونة في الأرض وأعلاه في سقف الباب ويسميه أهل الأحساء الصاير.

باب أحد المنازل المكون من درفتين، مع صف من النوافذ في الدور الأول

باب داخلي مزخرف ومنقوش

دريشة تطل على الحوي مع مدخل مزخرف

ويجعل على الباب من الخارج ناقوس من الحديد أو النحاس، وهو الأجود، به حلقة يضرب بها على الناقوس عند طرق الباب. ويغلق الباب من الداخل بواسطة كتلة من الخشب تسمى المقحام، وربما خُرق الباب من جهتين، ومنهما يتم التحكم بالكتلة فتحاً وإغلاقاً بواسطة حبلين يثبتان بالكتلة.

الدريشه: هي النافذة، وهي فتحة في الجدار تفتح على الحوي (داخل البناء وليس إلى خارجه)، ذات ضلفتين من الخشب. تفتح للداخل للنظر والتهوية والإنارة، لذا تكون على مستوى النظر.

الروشن: جمعها رواشن، وهو أيضاً اسم لنوع من النوافذ سائد في مصر والحجاز، وهو فتحة في الحائط يتراوح عرضها في الغالب ما بين ٢٠سم و٣٠سم وارتفاعها ما بين ٦٠سم و٨٠سم. والروشن في النصف العلوي من الحائط، ويوجد عادة روشن فوق مدخل الغرفة مباشرة. ويظل الروشن مفتوحاً لعدم وجود مصراع ثابت ودائم عليه، وحينما يراد غلقه تستعمل حزمة

نوع من الرواشن في مدينة الخبر مشابه لما هو موجود في الحجاز

من الليف ومن سيقان الأرز الجاف التي تعمل على شكل مخدة.

والرواشين مهمة مناخياً من حيث أوضاعها المتعاكسة في الغرف، وتغطى الرواشين أحياناً بفرش مزخرف يسمح للهواء والضوء بالدخول. وقد يتم وضع نافذة أكبر، تسمى الدريشه، وهي عادة تطل على فراغ داخلي، ومعظمها مصنوع من الخشب، خلفها شبك مكون من قضبان حديدية وعمودية على مستوى أرضية الغرفة، بينها فراغات تصل إلى ١٠سم. والغرض من الشبك حفظ الغرفة من التعديات الخارجية، وسلامة للأطفال من السقوط في الوقت نفسه، أما النافذة نفسها فمن أربعة مصاريع (صفق)، اثنتين اثنتين، وفي الوسط فاصل أو عارض خشبي، وجميعها مركبة في إطار خشبي يحدد عرض وارتفاع

شرفة مزخرفة

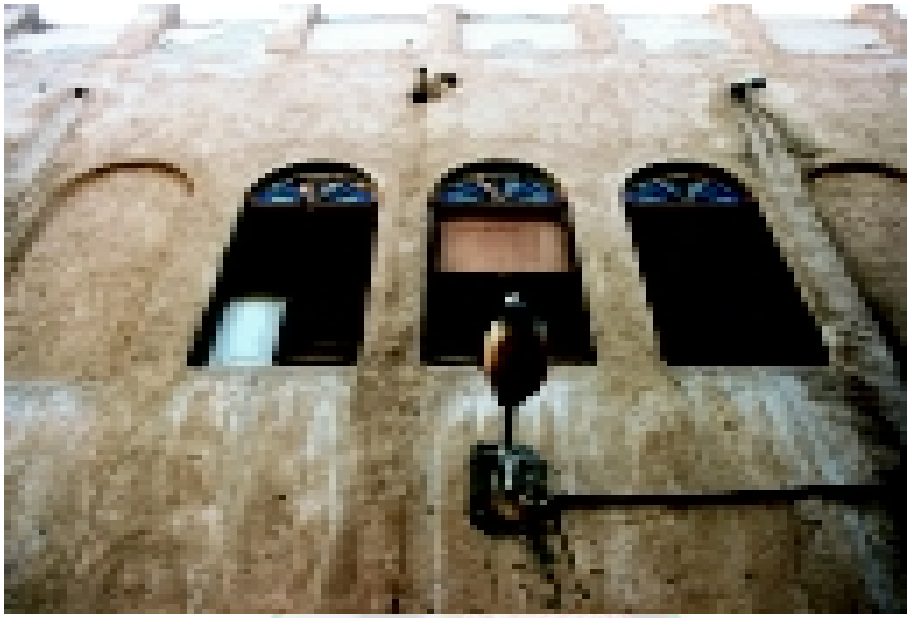

نوافذ تطل على الخارج مع نصف دائرة فوقها يسد فراغاتها الزجاج الملون في حي النعاثل – الهفوف

النافذة. ويكون العرض في الغالب ما بين ٨٠سم و١٠٠سم، والارتفاع ما بين ١,٥م إلى ٢م. وتنفتح المصاريع هذه إلى الداخل، ونادراً ما يوجد مصاريع تنفتح إلى الخارج. وعندما يُراد قفلها تستعمل خشبة صغيرة (فركيشه) تدور حول مسمار في العارضة الوسطية، وبدورانها يمكن إحكام غلق المصراع عندما تكون بشكل عمودي على العارضة. أما إذا كانت النافذة تطل على الشارع، فيوضع عليها شبك خشبي ثابت (أبجوره) تسمح بدخول الهواء والضوء ولا يُمكن الرؤية عبرها. وهذه في بيوت الأثرياء خاصة، وهي تلك النوافذ التي يُعمل فوقها نصف دائرة بالخشب لتكون شبكاً يمنع أشعة الشمس، وتسد فراغاتها قطع الزجاج الملون. وأما المصاريع فكثيراً ما يكون محفوراً عليها أشكال هندسية آية في الإبداع الفني والهندسي الزخرفي. وهذه الغرف، الموجودة بالمزارع وبعض المساكن، تسمى البنقلة، وهي تحمل في جدرانها نوافذ من كل جانب.

فتحات أخرى. هنالك فتحات أخرى تعد من العناصر المعمارية في المنطقة الشرقية، هي البادقير بأنواعه والمناور والروازن.

البادقير: كلمة فارسية تشير إلى نوع من النوافذ عرضها حوالي ٦٠-٨٠سم،

والغرض منها سحب الهواء من الخارج للغرفة. وهي لا تعمل إلا إذا كان البناء بالأثلب، لتكون حيطان الغرفة مما يعرف بحامل البادقير. وهي صفان متوازيان، بينهما فتحة بمقدار ١٠سم تقريباً، وعموديان بالنسبة لأرضية الغرفة ليمثلا الجدار، إذ يبدأ الأعلى من حيث ينتهي الأسفل، بتلاقي حوالي ١٠سم أيضاً، ويكون الفرش السفلي هو الخارج. وهي على أنواع:

بادقير السطح وهي فتحة موازية في جدار السطح وظيفتها توجيه الهواء إلى داخل السطح. واستخدمت هذه التقنية قديماً لأن السطح هو مكان النوم صيفاً.

بادقير الغرف وهو قناة بالجدار، ذات فتحة في الأعلى تفتح للخارج، وفتحة بالأسفل تفتح إلى داخل الفراغ الوظيفي المغلق (المسقوف)، وتعمل على تهوية الفراغ. وفي حي الرفعة الشمالية في الأحساء نوعان من بادقيرات الغرف: الأول فتحته العلوية إلى السطح، والآخر فتحته العلوية إلى الخارج.

المناور: وهي النوافذ السقفية، وقد استعملت على نطاق ضيق. وهي تعرف أيضاً بالبادقير، والغرض منها الإضاءة وإخراج الدخان الناتج عن تحميص القهوة في الوجاغ أو الوجار (الموقد)، وذلك في المجالس. ويكون المنور مباشرة فوق الوجاغ، بعمل فتحة في السقف يوضع فوقها فرشان متقابلان ليكونا مثلثاً مع هذه الفتحة لتسمح فقط بدخول الضوء وخروج الدخان، بمعنى أن المطر لا يمكنه النفاذ منها.

الروازن: مفردها روزنه، وهي تجاويف في الجدار تستعمل كأرفف، وفي بعض الأحيان توضع عليها أبواب لتكون خزائن لوضع الحاجيات.

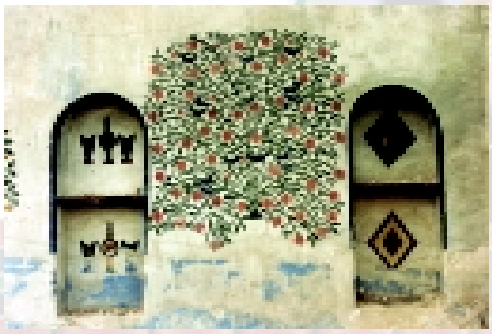

روزانة مزخرفة في حي الكوت – الهفوف

خصائص العمارة في المنطقة الشرقية

يتمتع البيت بخصوصية تامة، فلا نوافذ تطل على الخارج، ولا رواشين تحيط به من الخارج، ما عدا صندوق به بضعة ثقوب مثبت في السطح يطل على المدخل الرئيسي، يرى منه صاحب المنزل القادم إلى منزله. ويسمى في الأحساء الطرمه، والعرب تسميه الطارمة واللفظ

مجاز عن الطرماء التي ترى ولا تتكلم. أما الغرف فكلها تطل على فناء البيت الرحب، الذي يسمى الحَوِي. ويتمتع البيت بدرجة مقبولة من البرودة صيفاً والدفء شتاءً، إذ إن البناء بالطين والخشب، والجدران سميكة فلا تخترقها الحرارة أو البرودة. كما يلاحظ تقليل عدد النوافذ وتصغير حجمها، وهي تُبنى عادة فوق الباب مباشرة، وتسمى الرواشين، وتسد في الشتاء بحشوات من الليف. وينقسم البناء إلى جزءين رئيسيين؛ الجزء الخاص بالرجال، وهو المجلس وملحقاته، ويستقبل فيه صاحب المنزل الضيوف الذين ربما قضوا ليلتهم فيه إن كانوا غرباء عن البلد. والجزء الأكبر من المنزل، وهو الخاص بالحريم والنوم والمعيشة والطبخ والتخزين والمنافع (مثل بيوت الماء أو زريبة أو حوش للحيوانات).

وتمتاز العمارة في الأحساء بتلاصق البيوت، وضيق الطرق والممرات، وإقامة الساباطات والأزقة الظليلة لتفادي حرارة الشمس. وتحفر الآبار داخل البيوت، وربما تقاسم البئر الواحدة جاران أو ثلاثة، حيث تحفر بين حدود المنازل مع إقامة فُرَج يتمكن عبرها كل بيت من إدلاء دلوه في البئر.

ولم تكن المواصفات المعمارية والقيم التقليدية المتعامل بها مكتوبة بأي شكل من الأشكال، وإنما هي مجموعة نظم

صندوق في السطح به بضعة ثقوب يطل على المدخل الرئيسي

وقوانين توارثها الأحفاد عن الأجداد، وبقيت في الذاكرة. وحين التطبيق تستدرك هذه المواصفات متشعبة، بعضها يعرفه عامة الناس وبعضها لا يعرفه سوى ذوي الاختصاص والمهنة.

ويعتبر الستر النظري من أهم المواصفات التي يجب أن تكون في البيت. وتستخدم عدة طرق لتحقيقه، أوّلها: وجود الساباط المكسور بزاوية قائمة، والذي يصل بين المدخل الرئيسي وبراحة (فناء) البيت، وهو يمثل نفقاً موصلاً. وثانيها: وجود باب وسطي في بعض المنازل يكون مغلقاً، ويكون في وسط المسافة بين الفناء والمدخل الرئيسي للبيت. وثالثها عدم وجود نوافذ تطل على الخارج، وإن وجدت تكون أعلى من مستوى الرؤية.

طرق البناء

قبل اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية، كانت الحياة في المنطقة تسير على وتيرة واحدة واتساق لا يتبدل. فالأرض زراعية، ومواد البناء متوافرة، والعمال المحليون موجودون، والعرض متوازن مع الطلب.

أما عن مواد البناء التي كانت متوافرة بالأحساء، فهي إما من داخل الواحة نفسها وإما من حولها، كالحصى الذي يجلب من مقاطع (مقالع) خاصة، كمقطع الفضول بجانب قرية الفضول، وهذا الحصى معروف بقوة تحمله.

ومن مواد البناء، الجص (الجبس) وهو من تلك المواد التي تصنع محلياً من مواد محلية. والجص يستعمل كملاط، كما يستعمل في عمل لصق الفروش في نظام الأثلب بسبب جفافه وتصلبه السريع. والطريقة الرئيسية لعمل الجص تتمثل في عمل الصاد (جمعها صيدان)، إذ توضع طبقات من خام الجص (كبريتات الكالسيوم) مع جذوع النخل وتحرق حرقاً كافياً، بعد ذلك تدق وتسحق جيداً بأداة خشبية (مفضه) إلى أن تصير مسحوقاً.

يتخلص من الذرات المتينة منها بنخلها (غربلتها) ويكون الجص جاهزاً للاستعمال، وهنا يصنف الجص حسب نوعيته فالنوع الذي يعرف بالعزبي هو الجيد، أما الخكري فهو النوع الأردأ.

والنورة مادة تصنع محلياً بطريقة تماثل صناعة الجص، وتستعمل كصبغة بيضاء؛ وأحياناً تخلط مع الجص لتعطيه قوة أولية، وتسهل الأداء أي المسح لعمل سطح أملس وصلب.

أما الطين فمتوافر داخل الواحة، إذ يضاف إليه التبن لتكوين مادة رئيسية للبناء

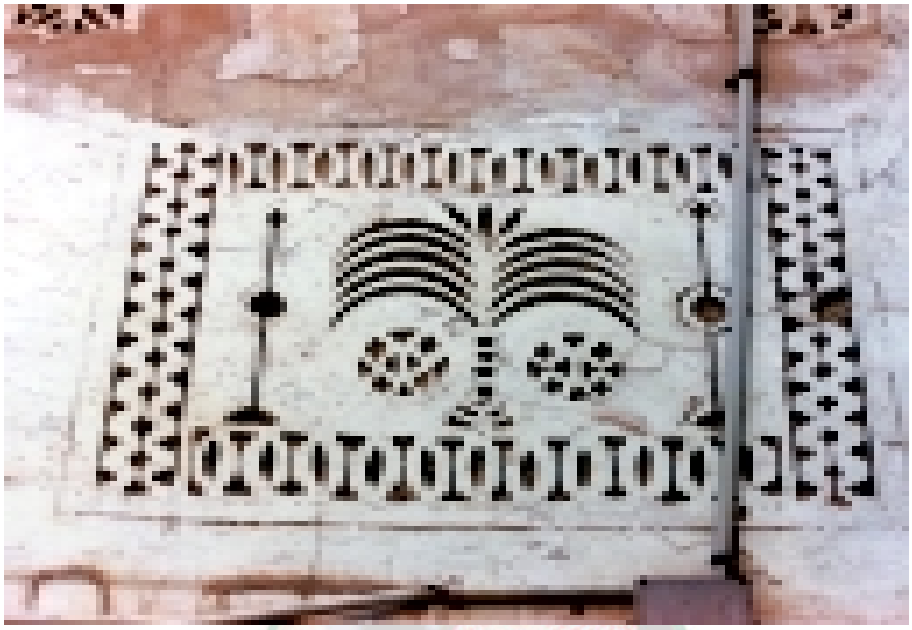

الزخرفة باستخدام الجص لأحد رواشن حي الرفعة الجنوبية – الهفوف

تسمى القيله. وعملية خلط الطين تتسمى التعبن. والجريد والخشب متوافران في الحقول لعمل السقوف. أما خشب الكندل أو الدنكل فيستورد من خارج البلاد.

وفي الحارات الرئيسية من الأحساء مثل الكوت والرفعة والنعاثل ثمة أسواق العمل؛ ويسمى السوق مجلساً، ويتقاطر عليه العمال والفلاحون بعد صلاة الفجر من كل يوم عدا الجمعة، ويستمر يوم العمل من طلوع الشمس حتى غروبها، ويتحمل صاحب البناء إطعام العمال.

عمال البناء. عمال البناء هم:

الأستاد: وهو الرئيس الذي يعمل تحت إمرته بقية العمال، وهو صاحب الكلمة الأولى، يعمل بيده ويشرف على الإنشاء والتشييد. وهو بمثابة المعماري والمشرف في الوقت الحاضر.

الشقردي: أي العامل النابه المجد، ويساعد الأستاد ويطمح في درجة الأستادية.

المزوري: أي العامل العادي.

الغيل: هو الذي يقوم بتخمير الطين، وصنع اللبن وتركه في الشمس حتى يجف.

عامل الجص: يقوم بحرق الصخور الكلسية ثم يدقها بالمشطاب (جمعه مشاطيب)، وهو كتلة ضخمة من خشب الأثل يشبه الهراوة لكنه أضخم منها. ويستعمله العامل لدق الجص المحروق

وغربلته. ويسمى المكان الذي يحرق فيه الجص الصار أو الدوغه. والجص نوعان، أبيض وهو الأكثر استعمالاً في المسح والنقوش، والأسود، ويوضع حول الأساسات لحفظها من الرطوبة.

السقا: مهمته جلب الماء إلى موقع البناء من أقرب بئر. وفي الآونة الأخيرة استعيض عن السقاء حين أصبح الماء يُنقل بواسطة الصفائح المحمولة على القواري.

طرق البناء التقليدية. درج الناس هنا على استخدام ثلاث طرق في البناء، هي البناء بالطين والبناء بالأثلب أو الدبش والبناء بالجريد.

البناء بالطين: توجد طريقتان للبناء بالطين؛ أحدها طريقة العروق وهي غير شائعة في بناء المساكن، وإنما كانت تستعمل في بناء جدران المزارع (الثامول). وهي طبقة مصمتة من الطين، بارتفاع ٢٠سم. تبدأ بإعداد التراب وهو خلطه بالكامل، حيث تحضر كميات وافرة من الطفل، تبلل بالماء مستوية، ثم تدق أو تداس إلى أن يصير التراب طيناً (وحلا). ويتولى العمال دياسة الكتلة وهم حفاة، ثم تضاف كميات مناسبة من القش (التبن) والماء لينتج خليط بلاستيكي يمكن إلى حد ما تناوله باليد بسهولة، ومع ذلك فيه نوع من الخشونة، ليُعطي الشكل المراد.

والأخرى طريقة اللِّبْن وهي الطريقة الشائعة في بناء المساكن، وتستعمل بها اليد لعمل الطوبة، وأحياناً يستعمل إطار يملأ بالطين ويترك ليجف على أرض مستوية. وبعد فترة التجفيف (حوالي شهرين) يُبدأ بالبناء برص الطوب الطيني على شكل مداميك يتخللها الطين، وبارتفاع يقارب متراً واحداً يومياً. وعند انتهاء بناء الجدران وأعمال التسقيف، يُعد طين آخر بالطريقة نفسها، يُعرف بالوقاء تمسح به الجدران من الداخل والخارج.

البناء بالأثلب أو الدبش: الأثلب أحجار أو فروش غير منتظمة المقطع، ترص في نظام يعرف بنظام الفروش أو الأثلب. وفي نظام البناء بالأثلب، يوضع الملاط المكون من الجص بين الحصى أو الحجر. وهذه الطريقة في البناء رخيصة بالمقارنة مع الطرق الأخرى، ويعمّر البناء بها مدة طويلة عندما يُحمى جيداً. كما توفر حماية مثالية ضد الأحوال المناخية في المنطقة، خاصة المطر.

ويعتمد البناء في نظام الأثلب عموماً على أعمدة يبعد بعضها عن بعض حوالي ١٢٠سم تقريباً. وتملأ الفتحات بين الأعمدة بنوافذ وأبواب، أو بالفروش وقوالب من الجص. والجدران إما أن تترك بلا تجصيص، أو تغطى من الجهتين

بالجص. وبهذا النظام يمكن إنجاز البناء في وقت قصير. ويتم إعداد الجص المستعمل بوضع كمية من الماء في لبان (إناء حديدي كروي قطره حوالي ٤٥سم)، وتضاف كمية ملائمة من مسحوق الجص إلى الماء، وتخلط باليد حتى يتحول الخليط إلى درجة من الصلابة، وبعد ذلك يسوّى البناء.

البناء بالجريد: نظراً لوجود كثير من التجمعات السكنية وسط الواحات، فإن نظام البناء بالجريد كان مرغوباً فيه بين تلك التجمعات وفي المزارع، لتوافره محلياً، ولكنّ لهذا النظام من البناء مشكلتين كبيرتين؛ الأولى قابليته للاحتراق بسرعة، والثانية قابليته لتسريب الماء في موسم المطر.

والمادة المستخدمة هي جريد النخل (العُسُب)، وتستخدم في شكلين: إما السموط وعليها الخوص، أو السموط بعد تجريدها من الخوص. ويعمل البناء بعد عمل إطار من الأثل أو جذوع النخل مُقام على حفر في الأرض. وتقام السموط وتربط مع بعضها بالاستفادة من الإطار كساند. وتستخدم الحبال من الليف أو المسد من القنو للربط، وأيضاً توضع سموط أفقية وتربط إلى الجدار المبني، ويعرف بالشداد.

مواد البناء الرئيسية. الطين ويخلط بالتبن لجعله متماسكاً. وتشيد به الحيطان في المباني الطينية ويكون مونة في بعض المباني الحجرية. أما جذوع النخل والخشب والأثل والحصر فتستخدم للسقوف. ويستخدم خشب الأثل والتوت للأبواب. ويستفاد من الجص للنقوش ووضع طبقة منه على الطين من الداخل، ولا يقدر عليه إلا الموسرون. والجذوع الصغيرة للمزاريب بعد تجويفها.

النظام الإنشائي. إن النظام الإنشائي للمباني هو نظام الجدران الحاملة، لذا كانت الجدران سميكة تصل إلى متر. ويرجع سُمكها إلى الحجر الجيري والطين اللذين تبنى منهما الجدران، فهذه المواد ضعيفة إذا ما قورنت بالمواد الأخرى، مثل الخرسانة أو الحجر الصخري. وتستخدم جذوع النخل أو جذوع شجر الأثل للأسقف، حيث توضع فوقها حصيرة من الجريد ونحوه ثم تغطى بطبقة من الطين. وقد استخدم الطين والجص، المصنوع من الحجر الجيري، في لياسة الجدران. ويستعمل الطين في اللياسة مخلوطاً بالتبن أو القش لإعطائه التماسك. وجدير بالذكر أن المباني المقامة حالياً في حي الرفعة الشمالية في الأحساء، خليط من مبانٍ ما تزال طينية وأخرى قد أزيلت وبنيت من

جديد من مواد إسمنتية، وثالثة قديمة أُدخلت عليها إضافات، مثل جدران الأسمنت، ورابعة أجريت عليها صيانة وتحسينات، مثل استخدام لياسة الإسمنت للجدران أو البلاط الإسمنتي للأرضيات.

خطة البناء

قبل البدء بالبناء يُخطط الأستاد المبنى بواسطة الخيوط التي يشدها على الأرض، بعد الاتفاق مع صاحب المبنى على عدد الغرف والمجلس والمطبخ والفناء وزريبة البهائم وبقية المنافع، من مخزن وجصة للتمور، ومساحة كل قطاع. وكانت المساحات تُحسب بالذراع المعماري قبل اعتماد المتر أساساً للقياس. (الذراع المعماري يساوي في الأحساء ١٨,٧٥ إلى ١٩ بوصة، بينما في القطيف يعادل ١٩,٧٥ بوصة). وفيما يلي وصف موجزٌ لخطة البناء، والمواد المستعملة.

حفر الأساسات والجدران. بعد حفر الأساسات، يملؤها العامل بالطين المخمر والحجارة. وكلما صنعوا سافاً من الطين، أضافوا الحجارة حتى يرتفع المدماك. وعند ذلك يبدأون باستعمال اللبن والطين حتى يعلو الجدار، أما فتحة الباب فيضعون فوقها قطعة من الجذوع ثم يضيفون إليها اللبن والطين. والأمر كذلك بالنسبة إلى الكُوى (مفردها كوه)، وهي الروشن بلغة أهل الأحساء. أما العقود والجسور فإنه يوضع فوقها قطعة عريضة وسميكة من جذوع النخل، تسمى الفَظّيّه ثم يوضع فوقها اللبن والطين.

ويتراوح عرض الجدار بين ٣٠-٤٠سم، وفي بعض البيوت قد يصل إلى ٥٠سم. ويسمى أعلى الجدار مما يلي السطح الحجا، وما يزينه من نقوش ومجسمات بارزة يسمى الشرف. ومعظم الغرف لها كُوَّة أو كوتان، ويحرص على جعلها صغيرة للمحافظة على درجة حرارة الغرفة.

إعداد الطين والحجر. يخمر الطين عدة أيام مخلوطاً مع التبن، ويسقى كل يوم حتى يتماسك. وتحضر الحجارة واللبن، وقد تكون الحجارة كلسية أو غرينية وتسمى الربى، أو حجارة الجديدة، وهي صلبة جداً وغالية ولا يقدر عليها إلا الأغنياء. ويؤتى بها من محاجر الجديدة الواقعة بين الهفوف وبقيق، وبها الآن شركة الأسمنت. أما الحجارة الكلسية فيؤتى بها من قرية الفضول على العربات المسماة القواري (مفردها قاري، كارو) أو على ظهور الحمير في محامل تسمى الأوقار، أو في محامل على ظهور الجمال تسمى المناقل. وحجر الربى رخيص،

وينتشر في كل مكان حول الأحساء، لكنه هش ودرجة تحمله ضعيفة.

الأعمدة. استعملت الأعمدة قطعاً إنشائية لتحول الحمولة من طبقات أو مستويات مختلفة إلى الأساس. وعموماً فإن الأعمدة تستخدم في نظام الأثلب، ويكون بناء العمود من الحصى، وغالباً ما يعرف هذا الحصى في القرى الشرقية من الأحساء بحصى الفضول، إذ المقطع بجانب قرية تحمل الاسم نفسه، كما تقدم. وتتماسك قطع الحصى بملاط الجص، ويغلق ما بين الأعمدة بواسطة الفروش. ومقطع العمود إما دائري أو مربع، ونادراً ما يكون مضلعاً، ويكون بأحجام مختلفة. ولتقليل نسبة النحافة تعمل عوارض أو جسور وسطية، وتستعمل لعرض الأشياء عليها. كما كانت تستخدم أعمدة خشبية في بناء العريش. وأما العمود الحجري فهو الذي استعمل في نظام البناء بالطين بقاعدة مربعة أو دائرية، مع وضع صخرة مربعة أو فرش جص للعمود. وهذا العمود يقام بطريقة سهلة حيث يوضع الحجر في مكانه مع الملاط الطيني أو الجص، ثم يمسح العمود بعد ذلك ويزين.

الجسور أو العوارض. استعملت الجسور أو العوارض قطعاً إنشائية لتمتد فوق الفتحات، وتدعّم الجدران المائلة. وتتكون في معظم الأحيان من الأخشاب، من دعامتين مغطاتين بطبقة حامية من الجص. وهناك أنواع كثيرة من الخشب استخدمت، تضم جذوع النخل وأخشاب الأشجار القوية، كخشب الأثل وكذلك خشب الكندل أو الدنكل (المنغروف).

وتبنى الجسور بوضع الأخشاب متلاصقة لتغطي مسافة (البحر) بين دعامتين (كل مسافة بين نقطتين أو دعامتين تسمى بحراً). ويملأ الجانب العلوي بطبقة من الأحجار مع ربطها بالملاط. وتوضع نهاية الأخشاب في وسط الملاط فوق الدعامات، ويغطى سطح القنطرة الأدنى، أحياناً، وجانباها بالجص، وأحياناً تنعم وتصبغ بالنورة. ولمّا كان بعض الأخشاب لا يلصق بها الجص مباشرة، فقد كانت تلف بالحبال الليفية لتكون وسطاً ملائماً يلصق بها الجص.

وكانت جذوع النخل تقطع إلى نصفين بالطول، أو إلى أربعة أجزاء عندما تستعمل عارضا. ولكن نتيجة لضعفها ولقوة الشد، كان استعمالها يقتصر على البحور القصيرة، وأما الدنكل أو الأثل فقد استعملا، نظراً لما يتمتعان به من قوة التحمل وجودة الشد ودرجة من

الصلابة كافية، وإمكانية الانحناء لضغط الحمولة قليلة.

الأرضية والسطح. تبنى الأرضية والسطح بالطريقة نفسها، والفرق هو أن السطح يضاف إليه طبقة إضافية من الطين لزيادة السمك والتقليل من تسرب المطر، وعناصر البناء في الحالتين متماثلة.

السطح مستو وأفقي، فيما عدا سطح البرستج الذي يكون على شكل جملون. وكان السطح يبنى أفقياً لغرضين؛ أحدهما ملاءمة السطح المستوي لمعدل المطر الساقط في المنطقة. والآخر أنّ السطح المستوي الأفقي يؤدي دوراً رئيسياً في حياة العائلة، نظراً لاستعماله صيفاً.

ولبناء السطح تُستعمل أنواع عدة من الأخشاب -تتضمن جذوع النخل- مع وضع نهاياتها وسط ملاط فوق الدعامات. ثم توضع الطبقة الأولى من التغطية إما من السعف أو من القصب (القلم) باستعماله على حالته دون تغيير، أو عمله على شكل حصير المنقور أو باستعمال حصر خوصية. وفي حالة بناء السطح والأرضية توضع فوق ذلك طبقة من الطين بالقش أو من دونه، وفي حالة الأرضية يوضع فوقها غطاء جصي وينعم.

ولأن امتداد جذع النخل عادة قصير (لا يزيد عن ٢,٥م) يعمل للغرف الكبيرة جسر في الوسط، ويكون على شكل قوس مكسور.

وعندما يُستعمل الكندل يدهن الخشب أولاً بالسيالي، حماية من العث (الضرب) ثم توضع على أقصر بحر، وبين الخشبتين بحر يصل ما بين ٢٢-٣٥سم من المراكز. وعند التكملة يكون طرفا الخشبة مغموسين في الملاط الجصي، وأول طبقة توضع فوق ذلك تتضمن -في عدة مناطق- سعف النخل دون الخوص (السمط)، وتوضع بشكل متغاير لتلائم شكل السمط، أو تبادلياً بشرائح طولية من القصب. وهي توضع في مكانها بزاوية خمس وأربعين درجة مع الكندل، وذلك لعمل تصميم جميل لديكور السقف. وتطلى السموط أو شرائح القصب باللون المطلوب قبل وضعها كغطاء فوق الكندل. وهذه الشرائح قوية ولامعة لتعطي السقف مختلف درجات الألوان من الأشكال الهندسية. والخطوة اللاحقة هي تغطية السموط أو شرائح القصب بالمنقور أو الحصر الخوصية، وهذه هي آخر شيء في حالة الأرضية مع طبقة من الطين بسُمك يصل إلى ٨سم، تتبعها طبقة من الأحجار الصغيرة من الجص، ومن ثم تسوّى وتنعم. وفي حالة السطح يضاف

القـش إلى الطين وتـزاد السمـاكة إلى ١٨سم من غير الطبقة الجصية في معظم الأحيان. وهناك ملاحظة مهمة وهي أن الكندل يغطي مساحة أعرض من المساحة التي يغطيها الجذع، فقد تصل أحياناً إلى خمسة أمتار.

تسقيف المباني. يتم تسقيف البيوت بإحدى الطرق التالية:

توضع جذوع النخيل أو خشب الأثل أو التوت على العقود وتفرش فوقها المداد المصنوعـة من الأسل الذي ينمـو حول بحيرة الأصفر شمال الأحساء، أو الحصر المصنوعة من سعف النخيل. وبعد ذلك توضع طبقـة سميكة من الطين وتمسح مسحاً جيداً لتغطية الفراغات لمنع تسرب المطر من السقف.

وهناك التسـقيف باستخدام خشب الدنكـل، وهو خشب يـنمو في الـهند وشرق أفريقيا ويتسم بالقوة والصلابة،

التسقيف بخشب الأثل في بيوت الطين

وربما بقي علـى صلابته لأكثر من مائة سنة. وعـند استعمـال الدنكل توضـع شرائح طويلة من قصب البامبو المستورد من أفـريقـيا ويـسمـيه أهـل الأحساء الباسكير، وفوقه توضع الحصر أو البواري (مفردها باريه) وهي حصر عريضة صفراء تستـورد من البصرة بالـعراق. وتصنع البواري من نبات يشبه نبات الأثل ينمو في مستنقعات أهوار جنوب العراق التي يخلفها نهر الفرات، قبل أن يصب في شط العرب، ثم يوضع الطين.

وهناك التسـقيف باستخدام خشب المرابيع التي تستورد من شرق آسيا، وعند استعمال المرابيع توضع فوقها شرائح من الخشب الأبيض السـويدي وتسمر. ثم توضع فوقها طبقة من الزفت والقار قبل وضع الطين عليها.

الأبواب. تصنع الأبواب من خشب الأثل أو الـلاتيه، وتـسمى عـند أهـل الأحساء بالخشب الأحمر، أما سراة القوم ووجهاؤهم فإن أبوابهم من الساج الهندي أو السيامي التايلندي، ويسمون الخشب السيامي (السيسم).

الزينـة والزخارف. إن أول ما ينـظر إليه المرء هو واجهة المسكن، ولقد تميزت واجهة المنزل التقليدي في المنطقة الشرقية بالبساطـة والوضوح، وفي حالة وجود

المجلس في الدور الأرض، تكون الواجهة عبارة عن بوابة رئيسية مزينة بالزخارف الشجرية المجسمة تشكل تاجاً فوق الباب الخشبي المنقوش. وعموماً لم يظهر في المنازل إلا القليل من الزينة التي كانت إما عنصرا وظيفيا أو عنصرا بنائيا.

وكان نوع الآرشات المستدير المدبب أو المغولي هو عنصر الزينة الرئيسي للأروقة المقنطرة والأبواب. أما الآرشات المستديرة فوق الأبواب والنوافذ فكانت معلماً تقليدياً في منازل الهفوف مع أن الآرشات المدببة كانت أكثر شيوعا هناك.

وقد تركت أسقف الحجرات والأروقة المقنطرة مكشوفة إلا أن عروق الخشب أو عصيان الخيزران كانت تطلى بطلاء زاهٍ مما جعلها تكون عنصر تزيين إضافي. وأحياناً كانت تنقش آيات قرآنية أو نقوش متعلقة بتاريخ المنزل أو صاحبه، إما أن تحفر على الأبواب الخشبية أو تلصق حول مداخل الأبواب.

وفي مدن الإقليم الشرقي شاع استخدام عناصر شفافة مثالية جصية تسمى روشان في المدن الساحلية، مثل الهفوف، فوق الأبواب والنوافذ أو الآرشات لتسمح بتهوية إضافية؛ ولهذا فقد وضعت في مستوى مرتفع جداً في الحجرات، وقد استخدمت أيضاً فتحات من الجص في الأروقة المكشوفة كمأوى للحمام. وبعض أركان المنزل أضيف إليها قمم تزيينية جصية كما كانت أسوار السطح تزود أحيانا بفتحات.

وإذا تركنا الأسقف المبهجة الألوان جانبا، فإن الألوان لم تستخدم إلابقدر بسيط جداً إذ لم يوجد في أي منزل أية طلاءات حائطية، ورغم أن بعض المنازل كان له رواشين إلا أنها لم تكن مألوفة في الإقليم الشرقي، إذ إن هذا النوع مستورد من منطقة جدة، وعلى الرغم من أن هذه الرواشين وجدت أحيانا على النوافذ الخارجية المطلة على الشارع في مجالس الرجال في هذا الإقليم إلا أن هدفها كان حجب الشمس وليس حجب النساء كما هو الحال في منازل جدة.

وتمتاز الأبواب والنوافذ بالنقوشات الخشبية البسيطة، إلا أن إطار الباب يمتاز بتكوين زخرفي واضح يتكرر في أغلب الأبواب بالمنطقة الشرقية بشكل عام.